

تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { وربك } يا محمد { الغني } أي عن جميع خلقه من جميع الوجوه وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم { ذو الرحمة } أي وهو مع ذلك رحيم بهم كما قال تعالى : { إن إِنَّا بِالنَّاسِ لَرَؤُوفُ رَحِيمٌ } { إِن يَشَا يَذْهَبُكُمْ } أي إذا خالفتم أمره { ويختلف من بعدكم ما يشاء } أي قوما آخرين أي يعملون بطاعته { كما أَنْشَأْكُمْ مِنْ ذرِيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ } أي هو قادر على ذلك سهل عليه يسير لديه كما أذهب القرون الأولى وأتى بالذي بعدها كذلك هو قادر على إذهب هؤلاء والإتيان بآخرين كما قال تعالى : { إِن يَشَا يَذْهَبُكُمْ أَيَّهَا النَّاسُ وَيَأْتِيَ بِآخَرِينَ وَكَانَ إِنْ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا } وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفَقَرَاءُ إِلَى إِنْ وَإِنْ هُوَ الْغَنِيُ الْحَمِيدُ } إن يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد * وما ذلك على إِنْ بَعْزِيزٍ } . قال تعالى : { وَإِنَّ الْغَنِيَ وَأَنْتُمُ الْفَقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبِدُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُونَا أَمْثَالَكُمْ } وقال محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة قال : سمعت أبا بن عثمان يقول في هذه الآية { كما أَنْشَأْكُمْ مِنْ ذرِيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ } الذريّة الأصل والذرّيّة النسل قوله تعالى : { إِنَّمَا تَوَعْدُونَ لَاتِ وَمَا أَنْتُمْ بِمَعْجِزَيْنِ } أي أخبرهم يا محمد أن الذي يوعدون به من أمر المعاد كائن لا محالة { وَمَا أَنْتُمْ بِمَعْجِزَيْنِ } أي ولا تعجزون إِنْ بل هو قادر على إعادتكم وإن صرتم ترابا رفاتها وعظما هو قادر لا يعجزه شيء وقال ابن أبي حاتم في تفسيرها : حدثني أبي حدثنا محمد بن المصنف حدثنا محمد بن حمير عن أبي بكر بن أبي مريم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري ص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : [يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده إنما توعدون لات وما أنتم بمعجزين] . قوله تعالى : { قُلْ يَا قَوْمَ اعْمَلُوا عَلَى مَا كُنْتُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } هذا تهديد شديد ووعيد أكيد أي استمروا على طريقكم وناحيتكم إن كنتم تظنون أنكم على هدى فأنا مستمر على طريفتي ومنهجي قوله { وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَا كُنْتُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ } قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس { على مَا كُنْتُمْ } ناحيتكم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون { أي أ تكون لي أو لكم وقد أنجز إِنْ موعده لرسوله صلوات الله عليه أي فإنـه تعالى مكـنه فيـالبلاد وـحكمـه فيـنـواميـخـالـفيـهـ منـ العـبـادـ وـفتحـ لـهـ مـكـةـ وـأـظـهـرـهـ عـلـىـ منـ كـذـبـهـ مـنـ قـوـمـهـ وـعـادـاـهـ وـنـاوـأـهـ وـاستـقـرـ أـمـرـهـ عـلـىـ سـائـرـ جـزـيـرـةـ الـعـرـبـ وـكـذـلـكـ الـيـمـنـ وـالـبـحـرـيـنـ وـكـلـ ذـلـكـ فـيـ حـيـاتـهـ ثـمـ فـتـحـ الـأـمـصـارـ وـالـأـقـالـيمـ وـالـرـسـاـيـقـ بـعـدـ وـفـاتـهـ فـيـ أـيـامـ خـلـفـائـهـ ص هـمـ أـجـمـعـينـ كـمـاـ قـالـ إـنـهـ تـعـالـىـ : { كـتـبـ إـنـ لـأـغـلـبـنـ أـنـاـ وـرـسـلـيـ إـنـهـ قـوـيـ عـزـيزـ } وقال { إـنـاـ لـنـنـصـرـ رـسـلـنـاـ وـالـذـيـنـ آـمـنـواـ فـيـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ وـيـوـمـ

يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الطالمين معدرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار } وقال تعالى :
} وقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون } .

وقال تعالى إخبارا عن رسله { فأوحى إليهم ربهم لنهلken الطالمين * ولنسكennكم الأرض من
بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيدي } وقال تعالى : { وعد إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا^{١٣}
الصالحات لِيُسْتَخْلِفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمْكِنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَصَى
لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يَشْرُكُونَ بِي شَيْئًا } الاية وقد فعل إِنَّ ذَلِكَ
بِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمُنْتَهَى أُولًا وَآخِرًا وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا